

الإيمان بالقدر يدفع إلى العمل والتواكل يعطل مسؤولية المسلم



الثلاثاء 8 سبتمبر 2026 05:00 م

يدعو الإيمان بالقدر المسلم إلى العمل والأخذ بالأسباب، مع التسليم لله في النتائج، ولا يمنحه عذراً للكسل أو التهرب من مسؤولية أخطائه

ويخلط بعض الناس بين التوكل والتواكل، فيتركون السعي للرزق ومقاومة الفقر والمرض والجهل، ظناً أن الإيمان بالمقادير يقتضي الاستسلام للواقع

وتكشف دروس غزوة أحد أن التسليم بالقدر لا يلغي المحاسبة، ولا يمنع النهوض بعد الهزيمة، بل يجمع بين الثقة بالله وتصحيح المسار

التوكل عمل وثقة بالله

ينطلق الفهم الخاطئ للقدر من القول إن ما أَرَادَهُ اللهُ سَيَقَعُ، سواء عمل الإنسان أم قعد، فلا ضرورة للسعي وبذل الجهد لكن وقوع الأشياء بمشيئة الله لا يسقط التكليف، ولا يجعل ترك العمل عبادة، ولا يحوّل العجز والكسل إلى توكل صحيح فالْمُؤْمِنُ يسعى في طلب رزقه، ويأخذ بأسباب العلاج، ويطلب العلم، ويتوب من المعصية، مستعيناً بالله في كل خطوة ولا يصح أن يحتج الإنسان بالقدر ليبقى على خطئه، أو يترك إصلاح حاله؛ فالتسليم لله لا يعني تعطيل الإرادة والمسؤولية ولو كان التوكل قعوداً، لما بذل الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه الجهد في الدعوة والعمل ومواجهة الشدائد

أحد تكشف مسؤولية الإنسان

تعلم المسلمون من أحد أن المصيبة وقعت بقدر الله، لكنها ارتبطت كذلك بأعمالهم ومخالفاتهم أمر الرسول صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى: (أَوَلَمْ نَأْصَابِكُمْ مِصْيَبَةً فَذَٰ أَصَابَتْكُمْ مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مَثَلِهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [آل عمران: 165].

(وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّلَاقِ الْجُمُعَانِ فَيَاذَنِ اللَّهُ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ) [آل عمران: 166].

جمعت الآيتان بين حقيقتين متكاملتين: وقوع المصيبة بإذن الله، ومسؤولية الإنسان عن الأسباب التي صدرت منه وأفضت إليها

فلا يملك المخطئ أن يتذرع بالقدر ليتنصل من المحاسبة، لأن الإيمان بمشيئة الله لا يمحو خطأه ولا يعفيه من إصلاحه

وهذا الفهم يربي المسلم على مراجعة نفسه، والاعتراف بتقصيره، وتصحيح عمله، بدل تعليق إخفاقاته على القدر والاستمرار في أسبابها

التسليم يحفظ العزيمة

ليس معنى التسليم للقدر أن يرضى المسلم باستمرار أسباب الهزيمة، وإنما أن يتلقى المصيبة بإيمان يمنعه من الانهيار واليأس
قال الله تعالى: (فَأَنبِئْكُمْ غَمًّا يَكُونُ لَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) [آل عمران: 153].

يوجه هذا المعنى المؤمن إلى ألا يستغرق في الحزن على الماضي حتى يفقد عزيمته، أو يعجز عن أداء واجبه في الحاضر
فالحنن البشري لا يناقض الإيمان، لكن الاستسلام له حتى يعطل العمل يحرم الإنسان فرصة النهوض واستدراك ما يستطيع استرداكه
والمطلوب أن يجمع المسلم بين الصبر على ما وقع، والعمل على إزالة أسبابه، والاستعانة بالله فيما يستقبل من أمره

الاستجابة بعد الجراح

لم تكن استجابة المؤمنين بعد أحد انسحابًا من المسؤولية، بل نهضوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم رغم الجراح والألم
قال الله تعالى: (الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ) [آل عمران: 172].
(الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) [آل عمران: 173].
(فَأَنقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَى الْإِيمَانِ لَمْ يَضُرُّهُمْ شَيْءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ) [آل عمران: 174].

لم تجعلهم الجراح أسرى للهزيمة، ولم يدفعهم تخويف الناس إلى القعود؛ بل اقترنت ثقتهم بالله باستجابة عملية واستعداد لبذل الجهد

وكان قولهم: (حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) تعبيرًا عن اعتماد القلوب على الله، وهم يتحركون امتثالًا لأمره

وهكذا يظهر التوكل في صورته الصحيحة: إيمان يثبت القلب، وعمل يترجم الطاعة، وثقة بالله عند مواجهة الخوف والشدائد

القدر لا يبرر القعود

لا يعلم الإنسان ما قدره الله للحظة القادمة، فكيف يجزم بأن الفقر أو المرض أو الضعف سيستمر، ثم يبنّي قعوده على ذلك؟
قد يجعل الله السعي سببًا للرزق، والعلاج سببًا للعافية، والتعلم سببًا لزوال الجهل؛ فالأسباب ونتائجها جميعًا داخلية في قدره
ولا يضمن الأخذ بالأسباب تحقق كل مطلوب، لكنه أداء للواجب، مع تفويض النتائج إلى الله والصبر على ما يأتي به قضاؤه
إن تجديد الفهم الصحيح للقدر يبدأ بتحمل المسؤولية، وترك الاحتجاج به على التقصير، ومقاومة العجز بما يستطيع الإنسان من عمل
فليكن إيمان المسلم بالقدر قوة تدفعه إلى الإصلاح، وليجمع بين قلب متوكل على الله، وعزم صادق، وسعي لا يستسلم لليأس

.....
لمزيد من الاطلاع ومراجعة المصادر انظر:

كتاب الإيمان بالقدر في الموقع الرسمي للشيخ الدكتور علي محمد الصلابي:

<http://www.alsalabi.com/salabibooksOnePage/648>